الذي انقلب ماء وفاض على وجه الارض وجرى بتحدّبها الى مكان ما يقوم مقامه لئلا يكون خلاء فينقلب ايضا ماء وتنقض
وهكذا الى ان ينبع كل جزء منه جزءا آخر قال الامام الرازي واما العيون الراكدة فتحدث من ابخرة بلغت من قوتها ان اندفعت
الى وجه الارض ولكن لم يبلغ من كثرة موادها وقوتها ان يطرد تاليها سابقها وهذا الكلام يناسب ما ذكره المصنف من التعليل
بامتناع الخلاء ويقتضي ان تعلل السيلان بكثرة الابخرة المقتضية للاندفاع الى فوق والركود بقلتها فتأمل فمياه العيون
والابار متولدة من ابخرة ناقصة القوة عن ان تشق الارض فاذا ازيل ثقل الارض عن وجهها صادفت منفذا فتندفع
اليه بادنى حركة فان لم يجعل هناك مسيل فهو البئر وان جعل فهو القناة ونسبة القنى الى الابار كنسبة العيون
السيالة الى الراكدة واعلم ان السبب من الابار والعيون الراكدة سبب لسيوح الماء فيها لان الثقل الظاهر يمنع
سائر الابخرة عن الظهور فاذا انتزح فوقه تلك الارض واندفعت الى الخارج وقد اختلفوا في ان هذه المياه
متولدة من اجزاء مائية متفرقة في عمق الارض اذا اجتمعت او من الهواء البخاري فينقلب ماء وهذا الثاني وان
كان ممكنا الا ان الاول اولى لان مياه العيون والقنوات والابار تزيد بزيادة الثلوج والامطار وايضا
نقول في البخار والدخان اللذين في الارض قد يكثران ويريدان الخروج منها بقوة ومسامها ضيقة فتهتز الارض لانها
تحركهما ومنه تكون الزلازل واذا كان قليلا او كان مسامها مفتوحة لم يكن زلزلة ولذلك قل الزلازل في
الاراضي الرخوة واذا كانت الابار والقنى في ارض صلبة قلت زلازلها وقد يخرج البخار والدخان الممتزجان امتزاجا
مقربا الى الدهنية وقد صار نارا لشدة الحركة المقتضية للاشتعال او الانقلاب الى النار وربما قويت المادة على
شق الارض فتحدث اصوات هائلة ثم انه قد يقع هذا الشق بلا زلزلة وربما كان مع موضع الانشقاق
وهدات فيسقط ما فوق الشق في تلك الوهدات وقيل ما تزلزل الارض لسقوط قلل الجبال عليها بتواتر المطر وشدته
وايضا نقول يحتبس في الارض في كهوفها وفي الهواء رطوبة تختلط ببخار الكبريت باجزاء الهواء الرطب فيفيد
مزاجا فيصير دهنا اي في طبيعة الدهن وربما اشتعل بانوار الكواكب بتغيرها فيرى بالليل في ذلك الموضع شعل
مضيئة غير محرقة احراقا يعتد به وذلك للطفها مخلص بعبارة جامعة وافية بما ذكرنا في الفصل الثاني وفي المرصد
الاول كله اراء الفلاسفة حيث نفوا القادر المختار كما سبقت اليه الاشارة في اثناء الكلام مرة بعد اخرى فانهم قالوا الاجسام
بالصور المستعدة في موادها يقتضي اختلاف الصور الحالة فيها واحالوا اختلاف اثارها الى الصور المتباينة ومزاجاتها المختلفة
واحالوا الحوادث كلها في الاجسام العنصرية واستندوها بالاخرة الى حركات الافلاك واوضاعها واما المتكلمون فقالوا الاجسام
متجانسة بالذات اي متوافقة الحقيقة لتركبها من الجواهر الافراد وانها متماثلة لا اختلاف فيها وانما يعرض الاختلاف للاجسام
لا في ذواتها بل بما يحصل فيها من الاعراض بفعل القادر المختار فالاجسام على رايهم متوافقة في الحقيقة مختلفة بالامور
الخارجة عن ذواتها هذا ما قد اجمعوا عليه الا النظام فانه يجعل الاجسام نفس الاعراض المجتمعة منها الاجسام وله اعراض التي

اختلاف صو

تركب

تركب منها الاجسام مختلفة بالحقيقة قطعا فتكون الاجسام ايضا كذلك اي مختلفة بالحقيقة وقد سبق في المقصد الثاني من الفصل
الاول من هذا المرصد انه لا يختص بمن يذهب الى تجانس الجواهر الافراد من جعل الاعراض داخلة في حقيقة الجسم وهو مبني على ان
الاجسام متخالفة الحقائق بالضرورة فيكون منافيا لما قد اجمعوا عليه من تماثلها في الحقيقة وتخالفها بالامور الخارجة الحالة
فيها المرصد الثاني في عوارض الاجسام واحوالها وفيه مقاصد ثمانية المقصد الاول في ان الاجسام محدثة وضبط الكلام
في هذا المقام بانها اي الاجسام اما ان تكون محدثة بذواتها وصفاتها او قديمة بذواتها وصفاتها او قديمة بذواتها محدثة بصفاتها
او بالعكس فهذه اربعة اقسام مفضية الى القسمة العقلية لا امر ثم اما ان نقول بواحد منها او لا نقول بل نتردد ونتوقف فهذه
خمسة احتمالات الاول انها محدثة بذواتها الجوهرية وصفاتها العرضية وهو الحق وبه قال المليون كلهم من المسلمين واليهود
والنصارى والمجوس الثاني انها قديمة بذواتها وصفاتها وهو مذهب ارسطو ومن تبعه من متأخري الفلاسفة كالفارابي
وابن سينا وتفصيل مذهبهم انهم قالوا الاجسام تنقسم كما عرفت الى فلكيات وعنصريات اما الفلكيات فانها قديمة
بموادها وصورها الجسمية والنوعية واعراضها المعينة من المقادير والاشكال وغيرها الا الحركات والاوضاع الشخصية
فانها حادثة قطعا ضرورة ان كل حركة شخصية مسبوقة باخرى لا الى نهاية وكذا الاوضاع المعينة التابعة لها واما مطلق
الحركة والوضع فقديم ايضا لان مذهبهم ان الافلاك متحركة حركة مستمرة في الازل لا الى اول بلا سكون اصلا واما العنصريات
فقديمة بموادها وبصورها الجسمية بنوعها وذلك لان المادة لا تخلو عن الصورة التي هي طبيعة واحدة نوعية لا تختلف الا
بامور خارجة عن حقيقتها فيكون نوعها مستمر الوجود بتعاقب افرادها ازلا وابدا وبصورها النوعية بجنسها وذلك لان
مادتها لا يجوز خلوها عن صورها النوعية باسرها بل لا بد ان يكون معها واحدة منها لكن هذه الصور مشتركة في جنسها
دون ماهيتها النوعية فيكون جنسها مستمر الوجود بتعاقب انواعه ثم الصور المشخصة فيهما اي في الصورة الجسمية والنوعية
والاعراض المشخصة المعينة محدثة ولا امتناع في حدوث بعض الصور النوعية العنصرية كان يكون مثلا نوع النار حادثا
غير مستمر الوجود بتعاقب افراده الشخصية اذ يجوز حصوله في عنصر آخر بطريق الكون والفساد ولا امتناع ايضا
عندهم في استمرار كذلك لا في استمرار انواع المركبات في ضمن افرادها المتعاقبة بلا نهاية الثالث انها قديمة بذواتها
محدثة بصفاتها وهو قول من تقدم ارسطو من الحكماء وهولاء قد اختلفوا في تلك الذوات القديمة فمنهم من قال انه جسم
واختلف في ذلك الجسم اي الاجسام هو فقال ثاليس الملطي انه الماء الذي هو المبدع الاول ومنه ابداع الجواهر كلها
من السماء والارض وما بينهما وصاحب الملل والنحل وكان اخذ مذهبه من الكتب الالهية في التوراة ان الله تعالى
جوهرة ونظر اليها نظر الهيبة فذابت وصارت ماء فحصل البخار وظهر على وجهها بسبب الحركة زبد وارتفع منها دخان
فحصل من زبد الماء الارض ومن دخانها السماء وقيل الارض وحصل الهواء بالتلطيف وقيل النار وحصل الهواء
بالتكثيف وقيل البخار فحصلت العناصر بعضها بالتلطيف وبعضها بالتكثيف وقيل الخليط من كل شيء لحم وخبز

خلق ع

٢٥٨

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 